القدّيس نيكيفوروس: أبًا روحيًّا للقدّيس إفمينيوس

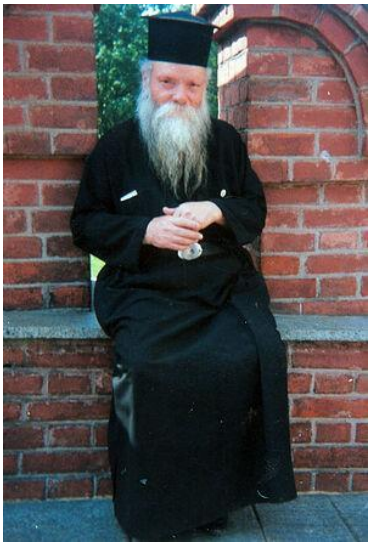

الشيخ إفمينيوس (Agiosnikiforos.gr)

- **الراهب صفرونيوس يجد شيخًا**

في الرابعة والعشرين من عمره، أصبح [القدّيس العتيد إفمينيوس] راهبًا [باسم صوفرونيوس]، ولكنْ لم يكن لديه شيخ [أبٌ روحيّ]. كان يقيم الصلوات مدّة خمس ساعاتٍ يوميًّا. اتّصلَ بي رئيس دير ذيونيسيو قائلًا: "أخي نيوفيطوس، إنّ شيخكَ يكاد يصبح قدّيسًا! إنّه يقيم الخدم وحده خمس ساعاتٍ في اليوم. نحن لا نقوم بذلك حتّى في الأديار الشركويّة الكبيرة في جبل آثوس!".

كان الشيخ وحيدًا. وكان يصلّي بالمسبحة منفردًا في قلّايته. حتّى العام 1957، كان يصلّي فيما يجاهد وحيدًا: "يا مسيحي، أرسِلْ لي إنسانًا يُخبِرُني إن كنتُ مخدوعًا أم لا!". فهو كان يرى الملائكة والشياطين والنور غير المخلوق. وأخذ بعض الرهبان يقولون له إنّه واقعٌ في خديعةٍ روحيّة.

صلّى الشيخ إفمينيوس إلى الله أن يرسل إنسانًا إلى ديره المقدّس. فاستجاب المسيح لصلواته وأرسل إليه القدّيس نيكيفوروس الذي حمل إليه رسالةً من شيخه القدّيس أنثيموس، وعلى ما أذكر فقد كتب الأخير فيها: "أيّها الأب العزيز صوفرونيوس، أرسلُ إليكَ كنزًا ليرشدكَ في الإيمان والصلاة. استخدِمْ هذا الكنز وستصبح راهبًا مُختبرًا مثل الأب نيكيفوروس".

أيقونة للقدّيسين أنثيموس ونيكيفوروس وإفمينيوس (من اليسار إلى اليمين)

وبالفعل، كان الشيخ إفمينيوس اليدَ اليُمنى واليُسرى للقدّيس نيكيفوروس مدّة سبع سنوات، بين عامَي 1957 و1964. لماذا؟ لأنَّ المرض كان ينتشر بسرعةٍ في جسم القدّيس نيكيفوروس؛ فقد شوَّه ساقيه، وكان بالكاد يستطيع الحراك، وأُصيبَ بالعمى التامّ، وأخذ صوته العذب يضعف. وبالطبع، يحتاج الأبرص الضرير ونصف المشلول إلى المساعدة. فكان الشيخ إفمينيوس يعتني به ويُلبسه حذاءه وقلوسته ليتمكّن من الاشتراك في الصلوات اليوميّة. كان القدّيس نيكيفوروس يُجيد الترتيل البيزنطيّ، وقد حفظ معظم المزامير غيبًا، وكان يتذكّر النصوص الرسوليّة كلّها. وبالقرب منه تعلّم الشيخ إفمينيوس الحياة الرهبانيّة.

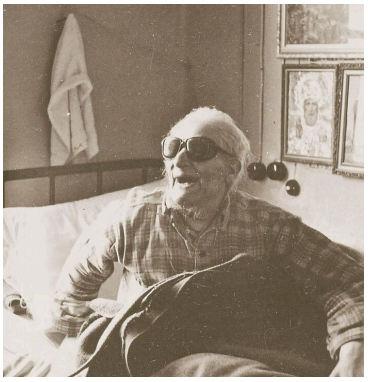

القدّيس نيكيفوروس في السنين الأخيرة من حياته (Agiosnikiforos.gr)

- **اكتشاف علاجٍ للبرَص وتضحية الشيخ (القدّيس) إفمينيوس**

في العام 1947، جرى اكتشاف لقاحٍ ضدّ البرَص، فلم يعد هذا المرض يقتل الناس، وعاد العديد منهم إلى منازلهم، لكنَّهم طُردوا من قُراهم الأصليّة بسبب العنصريّة ضدَّهم. وعاد أشخاصٌ متعافون من البَرص إلى منازلهم، فوجدوا أنّ زوجاتهم قد تزوَّجنَ برجالٍ آخرين. وكان ثمّة قانونٌ يقضي بأن يتسلَّم الأبرص تلقائيًّا شهادة طلاقٍ من شريكه. كان البرَص سببًا للطلاق، وهذا شكّل مصدر ألمٍ آخر لهُم. حكَوا لي عن ذلك قائلين: "غادرنا جزيرتنا وطُرِدنا من منازلنا. عدنا إلى المستشفى وقلنا لأنفسنا: سنموت هنا مع بقيّة البُرص!".

حين وُجِدَ علاجٌ للبرَص، كان الشيخ إفمينيوس ما يزال الراهب صوفرونيوس. وما الذي فعله؟ كيف قدَّس هذا الرجل نفسَه؟ أوّلًا، بقي للاعتناء بشيخه نيكيفوروس، لأنّ هذا الأخير كان قد جاء إليه إلى "إغاليو". ثانيًا، رأى آلام البُرص جميعها، لا الآلام الجسديّة والعقليّة فحسب، بل وأيضًا رفض المجتمع لهم، فقال لنفسه: "مع أنّني شُفيتُ (لاحقًا أصبح كاهنًا ولم تبقَ لديه نَدبةٌ واحدة)، سأبقى في مجمّع البُرص لخدمة المصابين!".

أتُدركون مدى عظمة تضحيته! ضحّى القدّيس إفمينيوس بحياته الدَّيريّة، أي ضحّى بخياره، بينما كان بإمكانه كراهبٍ أن يشترك في الخدم الكنسيّة ويحفظ الأصوام ويكون لديه أبٌ مُعرِّف. ضحّى بكلّ شيءٍ لخدمة البُرص.

في العام 1957، أُغلِقت مجمّعات البُرص في خيوس وسبينالونغا، وجُمِعَ البُرص كافّةً من جميع أنحاء اليونان خارج "إغاليو" في منطقةٍ تدعى "Agia Varvara" (القدّيسة بربارة). وما بُنيَ هناك دُعيَ مستشفى الأمراض المُعدية وليس مجمّع البُرص. فليس البُرص وحدهم من كانوا يُدخَلون إليها، بل وأيضًا جميع المصابين بأمراضٍ مُعدية.

- **القدّيس نيكيفوروس وسط نورٍ عظيم**

ثمّة حدثٌ محدّدٌ مدهشٌ لا يمكنني أن أنساه، وهو حدثٌ كانت قريتا "مينيكو" و"أكاكي" (في قبرص) أوّل قريتَين في العالم تقومان بتصويره في كنائسهما.

في أحد الأيّام، قام الأب إفمينيوس (وفي ذلك الوقت كان لا يزال "الأب صفرونيوس")، بوضع القدّيس نيكيفوروس في سريره. كان الجوّ شديد البرودة في الشتاء، لذا شغّل المدفأة الكهربائيّة في قلّاية القديس، لكنّ الأب نيكيفوروس قال له: "يا بنيّ، أطفئ المدفأة قبل أن تغادر"، فأجابه: "حسنًا أيّها الشيخ، بارك!".

ذهب الأب إفمينيوس إلى قلّايته، وبينما كان يصلّي هناك، راوده فكرٌ جعله يتساءل إذا كان قد أطفأ المدفأة في قلّاية الأب نيكيفوروس. وبما أنّ ذلك الفكر ظلَّ يزعجه، قال لنفسه: "سأذهب بهدوءٍ وأتحقّق من أنّني قد أطفأتها من دون أن أوقظ الشيخ".

وذهب إلى قلّاية الشيخ. إنّنا نتكلّم هنا على القدّيس نيكيفوروس، الرجل المشلول والضرير. فتح الأب إفمينيوس باب قلّاية أبيه الروحيّ بهدوء، ظانًّا أنّه كان نائمًا. وماذا رأى؟ وجد القدّيس نيكيفوروس في الهواءِ مرتفعًا نحو مترٍ ونصف تقريبًا عن سريره، يصلّي وسط نورٍ عظيم، رافعًا يديه نحو أيقونة والدة الإله الكلّية القداسة. ذُهِلَ الشيخ إفمينيوس، وأغلق الباب من دون أن يُصدر صوتًا لئلّا يزعج القدّيس في تأمّله النورَ غير المخلوق، وعاد إلى قلّايته وسجد وقال: "سامحني يا ربُّ لأنّني قطعتُ شركتكَ مع شيخي!".

قال لي الشيخ إفمينيوس لاحقًا: "يا للفرح الذي خالجني! ملأتْ أمواجُ الفرح جسدي بأكمله، وقلتُ لنفسي: يا مسيحي، لقد أرسلتَ إليّ هذا القدّيس العظيم، هذا المرشد الروحيّ. يا ربّ، قد سألتكَ في صلواتي أن ترسل إليّ إنسانًا ليكون مرشدًا لي، وأنتَ أرسلتَ إليّ قدّيسًا!".

من بين الأحداث كلّها، كان ذلك الحدث هو الأهمّ بالنسبة لي، وقلتُ لنفسي إنّه عندما أجدُ كاتبَ أيقوناتٍ ماهرًا، سأطلب منه رسم أيقونةٍ للقدّيس نيكيفوروس. وعندما كنّا نرسم الأيقونات الجداريّة في الكنيسة في "مينيكو"، وبعد انتهاء العمل بنعمة الله، طلبتُ من أنطوني، وهو كاتب أيقوناتٍ روسيّ، أن يرسم أيقونةً جداريّةً لهذا الحدث.

- **صلاة التوبة**

مرّةً أخرى، دخل الأب إفمينيوس قلّاية القدّيس نيكيفوروس، فوجده يصلّي صلاة توبة:

"يا مسيحي، سامحني أنا الكاذب! يا مسيحي، سامحني أنا الفاسق! يا مسيحي، اغفر لي أنا السارق! يا مسيحي، اغفر لي أنا من يَدين الآخرين ويقول لهم أقوالًا مؤذية، ويُحزِنهم، ويغتاظ بسهولة".

لم يقُل الأب إفمينيوس شيئًا. وفي اليوم التالي، بينما كانا يتناولان معًا وجبة الطعام، سأل أباه الروحيّ:

- أيّها الشيخ، سمعتكَ البارحة تصلّي. ما كان نوع الصلاة تلك؟
- كانت صلاة توبة.
- ولكنْ أيّها الشيخ، أليست صلاةً صارمة؟ متى كان لديك الوقت لارتكاب تلك الخطايا كلّها؟ لقد التقطتَ عدوى البرص منذ أن كنتَ في السادسة عشرة. متى زنيتَ؟ متى سرقتَ؟ متى قتلتَ؟ لماذا تقول أمورًا كهذه؟
- يا بنيّ، ربّما لم أرتكب تلك الخطايا ولكنّي فكرتُ فيها! ويقول لنا المسيح في الإنجيل إنّكَ إن أخطأتَ بالفكر أم بالقول أم بالفعل، فإنّ الأمر سيّان. ونعرف قدّيسًا، هو القدّيس أنثيموس، كان صارمًا معنا. لذلك من النافع لنا أن نلوم أنفسنا في صلواتنا.

هذا هو السبيل الوحيد الذي يصِلُ به الإنسان إلى التوبة، والتي بدورها تقوده إلى الرحمة. تقوده الرحمة إلى الرأفة، والرأفة تقود إلى القداسة. لن تسمعوا مطلقًا عن أيّ قدّيسٍ لم يملك توبةً ورحمةً ورأفةً تجاه قريبه. هذا بالضبط ما يعلّمنا إيّاه القدّيس نيكيفوروس.

نقلتها إلى العربيّة أسرة التراث الأرثوذكسيّ

Source: Metropolitan Neophytos (Masouras) of Morphou. *St. Nikephoros (Tzanakakis) the Leper.* Retrieved from: https://orthochristian.com/164755.html